الفاشية
بين النظرية والتطبيق

8

الحرب وما بعدها
The war and beyond

obeikan.com

obeikan.com

ومع واقع الحرب ، بدأ العديد من المنظرين ضد الفاشية عام ١٩٣٠ بالاعتقاد بالفكرة القائلة بأن الفاشية بدأت في بلدهم هم أنفسهم، و[ذلك لا بد من وجود مناومة داخل بلدانهم أولا ،كما رأوا أن أفضل طريقة لمحاربة الفاشيين من الاشتراكيين الذين لم يكونوا أنفسهم إيطاليين أو ألمانيين ،سيكون من خلال دعم احرب ضد الفاشية الأجنبية. ومع استمرار الحرب سلم غالبية الاشتراكيين بوجود فروقات جذرية وشاملة بين الديمقراطية والرأسمالية ، وبين عدم الديمقراطية ، والوحشية ، والفاشية الاستبدادية. بين الاشتراكيين الديموقراطيين ، وهذا عمل على إحياء التعريف اليمينى للفاشية الذى يمكن رؤيته كدعم غير مشروط قدمه الاشتراكيين البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين لحرب الطبقة الحاكمة ولأهداف خاصة بهم.

ووفقا للاشتراكي النمساوي ، جوليوس برونثال Julius Braunthal: فالاشتراكيين الذين شاركوا في حكومات وحدة وطنية تبنوا خطوة بخطوة الإيديولوجية القومية والامبريالية لشركاءهم من الحكومات الأخرى الذين كانوا ينشاركون معهم في مسؤولية «محاكم الحرب» ، بل وشاركوا معهم في التدافع الإمبريالي من أجل السلطة والإقطاعيات والأراضي.

كما أقبل الحزب الديمقراطي الاشتراكي الأوروبي أيضا بشكل متزايد على الأسطورة التي تقول : إن جميع الألمان قاموا بتأييد النظام النازي ، مما يعني أن جميع الألمان ، بما فيهم المعارضين لهتلر ، كانوا أيضا مسؤولين عن الجرائم النازية. وكان من إحدى ردود الفعل حول هذا الانحراف اليمينى للاشتراكية الأوروبية حالة من لغموض حول مسألة ما إذا كان سيكون من المناسب إعادة إنشاءهم حزبهم الدولي الثاني بعد الحرب. وفى عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ ، كان أغلبية الديمقراطيين

الاجتماعيين الأوروبيين يعارضون هذه الخطوة ، لخوفهم من إعادة قبول الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني SPD .

وعموما ، سجلت الحرب العالمية الثانية تراجعًا واضحًا وعامًا من الماركسية. وهذا قد يبدو متناقضا. فبحلول عام ١٩٤٥ كان المزيد من الناس من الذين يسمون أنفسهم ماركسيين أكثر من أي وقت مضى. وأفضل مؤشر على هذا النمو يكمن في أرقام العضوية للعديد من الأحزاب الشيوعية. فعند نهاية الحرب ، كان هناك ٥٠٠٠٠٠ في الحزب الشيوعي الفرنسي ، في حين أن ما يصل إلى مليوني شخص شاركوا في الحزب الشيوعي الإيطالي. وكان الحزب الشيوعي اليوناني يتألف من ٧٠٠٠٠ عضوا ، وكانت هناك ٤٥٠٠٠ في بريطانيا وأكثر من ١٠٠،٠٠٠ في الحزب الشيوعي الفلبيني.

ومع ذلك ، فإن التمييز هنا هو من الناحية الكمية والنوعية. فبالرغم من كون العديد من الناس على استعداد لتسميه أنفسهم ماركسيين ، إلا نفس هؤلاء الناس كانوا أعضاء في الأحزاب السياسية التي كانت تنأى بنفسها وتبتعد عن الأفكار الرئيسية للماركسية الكلاسيكية ، مثل فكرة أن العمال لا وطن لهم ، أو أنه يجب الإطاحة بالرأسمالية. و كانت هناك حجج جديدة لاستبدال هذه الأفكار ، وهى حجج قريبة من النظريات التي احتفظت بها الديمقراطية الاجتماعية قبل عام ١٩٣٣ .

وقد تم الكشف عن سياسة جديدة للحركة الشيوعية في جميع أنحاء العالم في المجالات السياسية والتى نجمت عن التشوهات التى خلفتها الجبهة الشعبية في زمن الحرب ، فقد كانت فكرة وجود طبقات اجتماعية تمثل جبهة شعبوية عالمية أو حتى دول بعينها مناهضة للفاشية فكرة جديدة ، وبعد غزو هتلر لروسيا ، الذي كان يمثل الحلفاء فيه «الديمقراطيات التقدمية» ، يتحركون بلا هوادة نحو الاشتراكية

الديمقراطية تحت قيادة ملهمة للشيوعيين مثل تشرشل والجنرال ديغول .

وعلى مستوى المنظمة ، كانت العقبة الرئيسية أمام هذا التراجع الماركسى يقع على عاتق الأحزاب «التروتسكية» (نسبة الى تروتسكى). ومع ذلك فإن تلك الأحزاب التروتسكية كانت صغيرة الى حد يثير الشفقة ، ففي عام ١٩٣٩ ، كان هناك ربما ١٥٠ من التروتسكيون في بريطانيا و ٢٠٠ في فرنسا ، ١٠٠٠ في أميركا. كما أن هذه المنظمات قد ضعفت بسبب وفاة تروتسكي نفسه. فعندما مات تروتسكي ، لم يكن هناك أحد من المواقع اليسارية قادرا على القيام بتحركات للمضي قدما بهذا الحزب. ونتيجة لذلك ، كان هناك اتجاهان رئيسيان لتحليل احركة التروتسكية فى العالم. وكان الاتجاه الأول يميل إلى شكل من أشكال المحافظة نظرية بمعنى: أنه لن يكون هناك نظريات جديدة للفاشية ؛ وذلك لأن نظرية تروتسكي صحيحة وكاملة.

وارتبط الاتجاه الثاني بالتراجع العام لصالح الماركسية ، لأن غالبية المفكرين الذين رفضوا حتى أقل القليل من تحليل تروتسكي ، وجدوا أنفسهم خارج الحركة ودون أي ضغط نتيجة لعدم إحتفاظهم بأفكار تروتسكي أو حتى أفكار ماركس. وكان هذا الاتجاه واضحا في الولايات المتحدة حتى قبل انضمام الولايات المتحدة الى الحرب ، مع انشقاق عدد من أبرز المؤيدين لأفكار تروتسكي ، وهم شخصيات مثل سيدني هوك Sidney Hook وماكس ايستمانMax Eastman .

ومن الذين أوجدوا نظريات جديدة للفاشية من هذه الشخصيات ، ماكس هوركهايمرMax Horkheimer ، في محاولته التعرف على الفاشية والشيوعية استالينية ومحاولة الربط بين الاثنين بما أسماه بصعود 'المجتمع الإداري». ومن أبرز تلك الشخصيات النمطية ، في هذا السياق « برونو رزيBruno Rizzi وجيمس

بورنهامJames Burnham . وكتب «رزي» كتابا أسماه البيروقراطية عام (١٩٣٩)، وكان يتميز بأنه شخص نزيه ، يبذل محاولة لفهم صعود الستالينية ولو جزئيا ، تلك الستالينية التى لازمت صعود البيروقراطية كطبقة جديدة حائزة.

ومع ذلك ، كان «رزي» غير قادر على توفير أي بديل حقيقي لانتصار البيروقراطيين ، وقام في نهاية المطاف بدعم النازية فى معاداتها للسامية قائلا: 'يجب علينا أن... نصبح معاديين لليهود ، لأننا مناهضون للرأسمالية. 'وفي الوقت نفسه ، وفى «كتاب جيمس بورنهام» المسمى «الثورة الإدارية» ، قام بإضافة تحليل جديد للفاشية على أنها شكل من أشكال الثورة الإدارية. مع تفضيله العملي لألمانيا النازية على جميع منافسيها ، فإن ألمانيا النازية فى نظره كانت من أقوى الدول - وبالتالي كما قال «كانت الأفضل على الإطلاق».

كان هذا تحليلا جديدا ، ولكنه كان تحليلا مشوها ورجعيا ، و لا يمكن وصفه بأنه تحليل ذو مغزى ماركسي بأي حال من الأحوال. وفي الوقت نفسه ، ومن النتائج الأخرى للحرب تمكين روسيا لإنشاء الدول المستقلة في جميع أنحاء أوروبا الشرقية ، التي تديرها البيروقراطية ، تحت ظروف من عدم التكافؤ والقمعية. و في الاتحاد السوفياتي ، أصبح هذا الشكل من الأشكال الماركسية هو أيديولوجية الدولة.

هذا الفكر في روسيا ، كان بمثابة العقيدة ،وتبنت روسيا مجموعة من الأفكار التي إدعت قدرتها على تفسير الواقع ، ولكنها كانت بمثابة الحقيقة التي وقفت على رأسها أى أنها كانت حقيقة مقلوبة. ووصف أندرياس دوربلين Dorpalen التأريخ الرسمي لدولة واحدة متمثلة فى ألمانيا الشرقية . حيث يصور الفاشية الألمانية في هذا التاريخ من ناحية رأسمالية بحته، والتى مكنت الفاشية في النهاية من

حيازة السلطة الكاملة.

ووصف مؤرخ ألماني شرقى ويدعى ديتريش إيكولتز Dietrich Eicholtz ، طبيعة الفاشية بقوله : إن الفاشية لا تمثل تشكيل منفصل اجتماعيا واقتصاديا ، كما أنها ليست مرحلة جديدة في النظام الاجتماعي الرأسمالي ، بل هى مؤسسات اقتصادية لها توجهات للاحتكار الرأسمالي ؛ والإمبريالية.

ولأول وهلة يبدو هذا الوصف صحيحًا رسميا. وهو ان الفاشية هى شكل من أشكال الحكم السياسي في ظل الرأسمالية - وكان الغرض منها توسيع السلطة الاجتماعية للرأسمالية و الإمبريالية على حساب العمال والبرجوازية الصغيرة والفقراء. ولكن من ناحية آخرى ، كان هذا الوصف معيبا بشكل واضح لوضع نظرية من هذا القبيل. وما يشير اليه المؤرخ الألمانى الشرقي هو هراء ،فإنه إن لم يكن هناك شيء غير عادي فى المجتمع تحت حكم الفاشية.و إذا لم يكن هناك شيء مختلف فى هتلر ذاته ، إذن فما هو الغرض من مقاومة هتلر؟ وهل كان العمال العاديون مخطئين في قتاله؟ وهل استمرت ألمانيا الغربية على الفاشية بعد عام ١٩٤٥؟ وإذا كان هناك أي تغيير على الإطلاق في النظام الاجتماعي الرأسمالي بعد عم ١٩٤٥ ، فما بال المخيمات التى كانت فى ألمانيا الغربية ذلك الوقت؟